جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسيوط

المجلة العلمية

الموازنة بين أبي تمام والبحتري
دراسة نقديّة وصفيّة

Comparing Abu Tammam and Al-Buhturi:
A Critical and Descriptive Study

إعداد

محمد بن فالح الفالح

مشرف مواد اللغة العربية بالإدارة العامة للتعليم بمنطقة الرياض

ومطور مناهج، وباحث دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

قسم الأدب والبلاغة والنقد

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الثاني- مايو)

(الجزء الثالث (١٤٤٦هـ /٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

الموازنة بين أبي تمام والبحتري دراسة نقديّة وصفيّة

محمد بن فالح الفالح

مشرف مواد اللغة العربية بالإدارة العامة للتعليم بمنطقة الرياض ومطور مناهج وباحث دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قسم الأدب والبلاغة والنقد

البريد الإلكتروني: : *Me.alfaleh@gmail.com*

الملخص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: تعد الموازنات الأدبية من القضايا النقدية القديمة الكبرى، لا سيما أن كثيرًا من القضايا النقدية تندرج تحتها، وانبثقت منها، والمتأمل لقضايا النقد الحديث يجد أن لها جذورًا في النقد القديم (لا سيّما أن البلاغة ملاصقة له)؛ فهو الذي أسقاه وغذّاه، ومن عذب مائه أعطاه، وما النقد الحديث إلا امتداد له، ومرتبط به، وآخذ عنه، ومن أبرز قضاياه (الموازنات الأدبية) فهي تشغل حيزًا كبيرًا. ومعلوم أن الموازنات الأدبية قديمة قدم الشعر العربي، وكان العرب يفاضلون بين الشعراء دون تعليل، فنراهم ينظرون مرة للمضمون، ومرة للأسلوب، ونظرة أخرى فنيّة، فيقولون: (شاعر فحل، وأشعر الشعراء...)، وتطور مفهوم الموازنة مع تطور العلوم حتى أصبحت الموازنة بين الشعراء منضبطة معللة، تقوم على قضايا نقدية كبرى، كاللفظ والمعنى، والسرقات، وعمود الشعر...، وهذه القضايا وما يتصل بها من مؤلّفات وآراء متناثرة في كتب النقد؛ تثري الباحث وتفتق في ذهنه موضوعات جديرة بالبحث في المستقبل. والجدير بالذكر أن الآمدي هو أول ناقد وازن بين شاعرين بمنهج نقدي منضبط، وهذان السببان من الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع وهذا الناقد؛ فأهدف في هذه الدراسة إلى التنقيب والاطلاع عن أبرز قضايا النقد القديم، وبيان مناهج العلماء فيها.

الكلمات المفتاحية: الموازنات، الأدبية، النقد، القديم، أدب.

Comparing Abu Tammam and Al-Buhturi: A Critical and Descriptive Study

Muhammad bin Faleh Al-Faleh
Supervisor of Arabic Language Subjects at the General Administration of Education in the Riyadh Region and Curriculum Developer
PhD Researcher at Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, Department of Literature, Rhetoric, and Criticism

Email: *Me.alfaleh@gmail.com*

Summary:

All praise is due to Allah, the Lord of all worlds, and may peace and blessings be upon the noblest of prophets and messengers, our Prophet Muhammad, and upon his family and companions.

Literary comparisons are among the major classical critical issues, particularly since many critical topics fall under their scope and have emerged from them. A careful examination of modern critical issues reveals that they have roots in classical criticism—especially given that rhetoric is closely linked to it. Classical criticism nurtured and enriched modern criticism, and from its pure essence, it has bestowed upon it. Modern criticism is merely an extension of its predecessor, connected to it, influenced by it, and drawing from it. One of the most prominent topics within this field is literary comparisons, which hold significant importance.

It is well known that literary comparisons date back to the early days of Arabic poetry. The Arabs used to compare poets without providing justification; sometimes, they would evaluate based on content, other times on style, and at other times from a purely artistic perspective. They would say phrases like: "A distinguished poet," or "The most eloquent of poets." However, as the sciences evolved, the concept of comparison became more structured and justified, grounded in major critical issues such as diction and meaning, plagiarism, and the classical poetic structure (the traditional poetic structure). These topics, along with related works and scattered opinions in critical books, enrich researchers and open up promising avenues for future studies.

It is worth noting that Al-AmidI was the first critic to systematically compare two poets using a structured critical methodology. This is one of the key reasons that led me to choose this topic and this particular critic. Through this study, I aim to explore and examine the most significant issues of classical criticism and to highlight the methodologies adopted by scholars in this field.

Keywords: *Comparisons, Literary, Criticism, Classical, Literature.*

المقدمة

إن المتأمل لقضايا النقد الحديث يجد أن لها جذورًا في النقد القديم (لا سيّما أن البلاغة ملاصقة له)؛ فهو الذي أسقاه وغذّاه، ومن عذب مائه أعطاه، وما النقد الحديث إلا امتداد له، ومرتبط به، وآخذ عنه، ومن أبرز قضاياه (الموازنات الأدبية) فهي تشغل حيزًا كبيرًا.

ومعلوم أن الموازنات الأدبية قديمة قدم الشعر العربي، وكان العرب يفاضلون بين الشعراء دون تعليل، فنراهم ينظرون مرة للمضمون، ومرة للأسلوب، ونظرة أخرى فنيّة، فيقولون: "شاعر فحل، وأشعر الشعراء..."، وتطور مفهوم الموازنة مع تطور العلوم حتى أصبحت الموازنة بين الشعراء منضبطة معللة، تقوم على قضايا نقدية كبرى، كاللفظ والمعنى، والسرقات، وعمود الشعر...، وهذه القضايا وما يتصل بها من مؤلّفات وآراء متناثرة في كتب النقد؛ تثري الباحث وتفتق في ذهنه موضوعات جديرة بالبحث في المستقبل.

والجدير بالذكر أن الآمدي هو أول ناقد وازن بين شاعرين بمنهج نقدي منضبط، وهذان السببان من الأسباب التي دعتني لاختيار هذا الموضوع وهذا الناقد؛ فأنا لا أهدف (في هذه الدراسة) للجدّة والانفراد، وإنما التنقيب والاطلاع.

فمن أهدافي:

١- الاطلاع على طريقة تطور العلوم، وانبثاق القضايا، وربط السبب بالمسبب.

٢- معرفة طريقة تفكير العلماء في التأليف، وإبراز الرأي ومناقشته، وإيصال الحجة بطرق مختلفة.

٣- التنقيب عن القضايا النقدية الكبرى كالموازنة، ومعرفة القضايا الصغرى المتصلة بها، وما يتعلق بها من قريب أو بعيد.

أمّا أهداف هذه الدراسة تحديداً؛ فتتجلّى فيما يلي:

٤- تتبع تاريخ الموازنات الأدبية من العصر الجاهلي وصولًا إلى العصر العباسي.

٥- إبراز معايير الموازنة بين الشعراء قبل استقرار المصطلح.

٦- إبراز جهود الآمدي في كتاب الموازنة، وبيان منهجه، وأبرز القضايا التي ناقشها، ثمّ نقده.

٧- أثر جهد الآمدي على معاصريه ومن بعدهم.

ولا يخفى عليكم أهمية هذا الموضوع قديمًا وحديثًا؛ فقد التفتت إليه بعض الدراسات، ومنها:

١- "أبو القاسم الآمدي وكتاب الموازنة بين الطائيين"، لمحمد علي أبو حمدة، وجاءت هذه الدراسة في ثلاثة أبواب، ركز في الباب الأول على الآمدي، وفي الفصل الثاني والثالث تحدث عن الحركة النقدية التي أثارها الآمدي، وأبرز القضايا في كتابه، وهذه الدراسة تقترب من دراستي من حيث القضايا، وتفترق من حيث التناول، ومن حيث التأريخ للقضية.

٢- "النقد المنهجي عند العرب"، لمحمد مندور، وجعل الفصل الرابع من دراسته بعنوان: "الآمدي والموازنة بين الطائيين"، وهذا الفصل كانت الدراسة فيه موجزة، وركز فيها على قضية الخصومة بين القدماء والمحدثين باعتبارها أهم روافد الموازنة، كما أنني لمست إعجابه للآمدي؛ مما جعله يتحيّز له في بعض آرائه.

وهذا الدراسة تختلف عن الدراسات السابقة من حيث أهداف الدارس، وأهداف الدراسة؛ فجاءت خطة البحث خدمة لها، في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

فالمقدمة اشتملت على أسباب اختيار الموضوع، وأهداف الدارس والدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه، وأبرز الصعوبات التي واجهت الباحث.

واشتمل **التمهيد** على معنى الموازنة في اللغة والاصطلاح.

وعنونتُ **للمبحث الأول**: بـ (الموازنة قبل الآمدي)، وتحته ثلاثة مطالب؛ الأول: الموازنة في العصر الجاهلي، ذكرتُ فيه نماذج انطباعية للموازنات بين الشعراء، الصادرة من الأدباء وأسباب تفضيلهم وتقديمهم شاعر على آخر.

والمطلب الثاني: الموازنة في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، وفيه تحدثتُ عن تفضيل الرسول ﷺ لحسان بن ثابت ﷺ دون غيره من الشعراء، وأسباب هذا التفضيل، ثم انتقلت إلى نقدات عمر بن الخطاب ﷺ وأبرز المعايير النقدية في موازناته، فعلي بن أبي طالب ﷺ ومقياس الموازنة بين الشعراء لديه، وأبرز موازنات العصر الأموي التي تمثلت في شعر الأخطل وجرير والفرزدق.

ويأتي المطلب الثالث: المعنون بـ (الموازنة في العصر العباسي حتى الآمدي)، تحدثتُ فيه عن بيئة التأليف وأبرز روافده؛ من تطور للحضارة الإسلامية، وتداخل الثقافات، وظهور الترجمة، وبروز عدد من الطوائف المختلفة، والقضايا المتعددة، وأثر ذلك على العلوم من حيث التخصص ومن حيث الأسلوب، ثم تطور المصطلح، وأبرز المؤلَّفات التي ضبطت المفاهيم النقدية التي أسهمت بدورها في إبراز موازنة نقديّة منضبطة.

ثم **المبحث الثاني** المعنون بـ (الموازنة عند الآمدي وبعده)، وتحته تسعة مطالب؛ الأول: الآمدي وكتابه الموازنة، صدّرته بتعريف عنه وعن كتابه وأسباب تأليفه، ثم ذكرت نبذة يسيرة عن الطائيين الذي أقام موازنته على شعريهما.

والثاني: منهج الموازنة؛ وفيه بيّنتُ المنهج الذي اتخذه وسار عليه في موازنته بين الشاعرين، وشدّة تمحيصه وتدقيقه في الرجوع إلى النسخ المتوفرة لدواوين الشاعرين.

والثالث: مصطلح الموازنة؛ وفيه بيّنتُ الأساس الذي أقام عليه الآمدي مصطلح الموازنة.

والرابع: القضايا التي بنى عليها الموازنة؛ من خصومة بين القدماء والمحدثين، ولفظ ومعنى، وسرقات.

والخامس: نقد الآمدي في كتابه؛ وفيه أبرزتُ عدله ودقته وإنصافه، وفي المقابل حيفه وميله لهواه وتعصبه في بعض المواطن والأحكام.

والسادس: قيمة كتاب الموازنة؛ وفيه أبرزتُ جهود الآمدي في كتابه من حيث المنهج، ومن حيث القضايا والآراء الواردة فيه.

والسابع: المقايسة عند القاضي الجرجاني؛ ومهّدتُ بتعريف المقايسة في اللغة والاصطلاح، ووضعت تحته مطلبين.

الثامن: منهج المقايسة وظهوره عند الجرجاني؛ وتحدثتُ فيه عن علاقة الموازنة بالمقايسة، وعن منهج المقايسة، والغرض من تأليفه للوساطة.

التاسع: مقارنة بين منهج الموازنة والمقايسة؛ وفيه أبرزتُ أسس المنهجين، وأوضحتُ أوجه الالتقاء والاختلاف بينهما.

ثم **ختمت البحث بخاتمة**؛ اشتملت على خلاصة هذه الدراسة، وأبرز نتائجها، وتوصيات أوصي نفسي والباحثين من بعدي بها.

وذيّلت هذه الدراسة **بثبت المصادر والمراجع**، ويليه **فهرس الموضوعات**.

وسبب تقسيمي لهذا البحث بالمباحث والمطالب؛ لأنّ البحث يستدعي ذلك، كيفًا وكمّا.

واعتمدت (بعد الله) في هذه الدراسة على المنهج الوصفي النقدي.

التمهيد

الموازنة لغة: "الوزن ثقل الشيء بشيء مثله...وأوزان العرب ما بنت عليه أشعارها، واحدها وزن...وهذا القول أوزن من هذا، أي أقوى وأمكن"[1]، والمتأمّل للمعنى اللّغوي للوزن يرى فيه دلالات لا بد من الوقوف عليها، أهمها:

أولًا: الوزن يكون في الأشياء المحسوسة والمعنوية، فيدخل فيه الشعر.

ثانيًا: الوزن فيه عدل، سواء كان الوزن للمحسوسات أم المعنويات.

ثالثًا: استُخدِمتْ مفردة "وزن" في الأدب القديم لأوزان الشعر المعروفة، ولكنها لم تكن مصطلحًا نقديًّا تعني الموازنة بين الشعراء.

الموازنة اصطلاحًا: هي موازنة شعر شاعر بشعر شاعر آخر وفق شروط مخصوصة، فالموازنة تكون "بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، ثم بين معنى ومعنى"[2].

(١) لسان العرب: ٤٤٦/١٣. مادة: (و ز ن).

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٥٧/١.

المبحث الأول: الموازنة قبل الآمدي

المطلب الأول: الموازنة في العصر الجاهلي

يبدو أنّ الموازنة والمقارنة بين الأشياء فطرة فُطِر الناس عليها، فالإنسان يبدأ بالمقارنة بين أي أمرين متوازيين ثم يفاضل بينهما وتميل نفسه إلى أحدهما.

وإذا قلتُ: الموازنة فُطِر عليها الناس؛ فمعنى هذا أنّها متأصلّة في نفوسنا وقديمة، وما يعنينا ذكره هنا هو الموازنة الأدبية، فكثير من القصص المبثوثة في كتب التراث الأدبي تخبرنا أنّ العرب استعملوا أسلوب الموازنة في الحكم بين الشعراء، أو الحكم على قصائد بعينها "وما الموازنة إلا ضرب من ضروب النقد يتميّز بها الرديء من الجيد وتظهر بها وجوه القوة والضعف في أساليب البيان فهي تتطلب قوّة في الأدب وبصرًا بمناحي العرب في التعبير"(١).

وأبرز مثال على هذا هو قبّة النابغة الذبياني التي كانت تُضرب له في سوق عكاظ فيحكم بين الشعراء، ويوازن بينهم، وكان ممن أنشده الأعشى، وحسان بن ثابت، والخنساء(٢).

والشواهد على حضور الموازنة كثيرة منها: أنه اجتمع رهط من شعراء تميم في مجلس شراب، قبل أن يسْلِموا وبعد مبعث النبي ﷺ، وهم: الزبرقان بن بدر، والمخبّل السعدي، وعبده بن الطبيب، وعمرو بن الأهتم، فتذاكروا أشعارهم، وقالوا: لو أنّ قومًا طاروا من جودة الشعر لطرنا، ثمّ اختلفوا أيّهم أشعر، فتحاكموا إلى أول من يطلع عليهم، فطلع عليهم ربيعة بن حذار الأسدي؛ فقالوا له: أخبرنا أيّنا أشعر؟ فقال: أمّا عمرو فشعره برود يمانية تطوى وتنشر (وفي رواية: كبرود حبر يتلألأ فيها البصر

(١) الموازنة بين الشعراء: ٨.

(٢) ينظر: الأغاني: ٧/١١.

فكلّما أُعيد فيه النظر نقص البصر)؛ وأمّا أنت يا زبرقان فكأنك رجل أتى جزورًا قد نحرت فأخذ من أطايبها وخلطه بغيره، أو قال له: شعرك كلحم لم ينضج فيؤكل ولا ترك نيّئًا فينتفع به؛ وأمّا أنت يا مخبّل فشعرك قصر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم؛ وأمّا أنت يا عبده فشعرك كمزادة أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء [(١)].

ومن شواهده (أيضًا) الحكم العام على الشاعر: ومنه ما يُروى أنّ لبيد بن ربيعة سُئل: "مَن أشعر الناس؟ فقال: الملك الضلّيل، قيل: ثم من؟ قال: الشاب القتيل، قيل: ثم من؟ قال: الشيخ أبو عقيل يعني نفسه"[(٢)].

فاستعمال الموازنة بين الشعراء كان حاضرًا بقوة في نقدات العرب حتى وإن كانت موازنة غير معللة في كثير من القصص التي وردتنا، وذلك أنّ مصطلح الموازنة في النقد المتأخر (القديم) لم يكن مستقرًا عندهم، بل كان في مرحلة النشأة، ولهذا نجد الإشارات الواردة في قصصهم وأخبارهم، من غير ذكر سبب علو شاعر أو ضعفه، ونجد عبارات تتردد كثيرًا في أخبار العرب كقولهم: "أشعر الشعراء، أشعر قومه، شاعر فحل، شاعر مُجيد..." وغيرها من الأحكام العامة المطلقة، وفي رأيي أنّ عدم تعليلهم للحكم لا يعني ضعفهم أو عدم القدرة عليه؛ بل كان المجتمع العربي في ذروة البلاغة والفصاحة والبيان، وكانوا عباقرة اللّغة يعرفون الشعر ومتطلباته؛ ولهذا كان الأديب وغير الأديب يسمع الشعر فيستحسنه سليقة أو يمجّه سليقة دون تكلّف، أو يذكر أسبابًا انطباعية تبيّن تفضيل شاعر على شاعر أو قصيدة على قصيدة؛ فأسباب الاستحسان والنقصان مستقرّة في أذهانهم دون حاجة إلى تعليلها.

---

(١) ينظر: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: ٤٦. وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري: ٢٥-٢٧.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ٩٥/١.

المطلب الثاني: الموازنة في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي

وإذا وصلنا إلى جناب الرسول الكريم ﷺ فقد استعمل الموازنة بين الشعراء عندما حضّ شعراء الأنصار للدفاع عن الإسلام بالشعر، وفضّل حسان بن ثابت ﷺ عليهم في هذا المضمار، فقد أخرج مسلم عن عائشة ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «اهجوا قريشًا، فإنه أشد عليها من رشق بالنبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم فلم يرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت...فسمعت رسول الله ﷺ يقول: هجاهم حسّان فشفى واشتفى»(١).

ومن الواضح هنا أن سبب تفضيل شعر حسان ﷺ على غيره يعود إلى قياس نقدي موضوعي وهو قياس جودة الشعر بقوة أثره في النفوس.

أمّا عمر بن الخطاب ﷺ فنراه وازن بين الشعراء وفضّل زهير بن أبي سلمى عليهم؛ لأنه "كان لا يعاظل في الكلام، وكان يتجنب وحشيّ الشعر، ولا يمدح أحدًا إلا بما فيه"(٢).

وهذا التعليل يعتمد ثلاثة مقاييس للتفضيل:

الأول: مقياس فنّي؛ وهو القدرة على الابتكار والإبداع.

الثاني: مقياس شكلي؛ وهو سلامة الصياغةِ اللغوية وخلوُّها من التوعّر والتعقيد.

الثالث: مقياس مضموني أخلاقي؛ وهو الصدق في التعبير عن الواقع.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت، حديث رقم: (٢٤٩٠)، ١٩٣٥/٤.

(٢) الأغاني: ٢٢٧/١٠.

كما كان عمر بن الخطاب η يُفضّل أيضًا النابغة الذبياني على شعراء غطفان كلهم، أي أنّه أشعر من عنترة وعروة بن الورد، فقد ورد أنّ عمر ﷺ ذات يوم قال: يا معشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول:

أتيتُـــك عاريًـــا خَلَقًـــا ثيـــابي علـــى خـــوفٍ تُظَـــنُّ بِـــيَ الظنـــونُ

فألفيـــتُ الأمانـــةَ لـــم تخنهـــا كـــذلك كـــان نـــوح لا يخـــون

قالوا: النابغة الذبياني. قال: فأي شعرائكم الذي يقول:

فإنّـــكَ كاللّيـــلِ الـــذي هُـــوَ مُدرِكِـــي وإن خلـــتُ أنّ المنتـــأى عنـــكَ واسِـــعُ

خَطـــاطيفُ حُجْـــنٌ فـــي حِبـــالٍ مَتِينـــةٍ تَمُـــدُّ بـــهـــا أيـــدٍ إلـــيـــك نَـــوازِعُ

قالوا: النابغة الذبياني. قال: فأي شعرائكم الذي يقول:

حَلَفـــتُ فَلَـــمْ أَتـــركْ لِنفســـكَ ريبـــةً ولـــيس وراءَ اللهِ للمـــرءِ مَـــذْهَبُ

لَـــئِن كُنـــتَ قـــد بُلِّغـــتِ عَنِّـــي خِيانـــةً لَمُبلِغُـــكَ الوَاشِـــي أغَـــشُّ وأكْـــذَبُ

قالوا: النابغة. قال: ذاك أشعر شعرائكم، وفي رواية: فهو أشعر العرب[1].

وعلى الخبر السابق يتضح أنّ المقياس النقدي عند عمر ﷺ هو مقياس ضمني، يكمن في المعاني الروحانية التي حث الإسلام عليها، ومقياس فنّي وهو براعة الصورة الشعرية في التعبير عن المعنى.

ولا نكاد نصل إلى عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، حتى نرى أنّ الموازنة بين الشعراء اعتمدت على عدة مقاييس مهمة، تتمثّل في هذه القصة: فعندما سأل علي ابن أبي طالب الناس عن أشعر الشعراء، قال: كل شعرائهم محسن، وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول

(١) ينظر: الأغاني: ١١/٥.

لعملنا أيهم أسبق إلى ذلك وإن يكن أحد فَضَلَهم[١] "فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حُجْر، فإنه كان أصحّهم بادرة، وأجودهم نادرة"[٢].

فتشير هذه الرواية إلى عدد من المقاييس النقدية المهمة:

أولًا: لا تكون المفاضلة النقدية المطلقة إلا بشروط موضوعية، أهمها:

المعاصرة، واتفاقهم في الغرض الشعري، وفي أسلوب التعبير، وتعذّر تحقق مثل هذه الشروط؛ يعنى أنّ المفاضلة بينهم نسبيّة وليست مطلقة، كما أنها غير منصفة للشاعر المتقدم والمتأخر أيضًا.

ثانيًا: قول الشعر استجابة للدافع الداخلي أدلّ على شاعرية الشاعر من قوله استجابة للدوافع الخارجية كالطمع والخوف، فالشعر الذي يفيض فيضًا دون هدف نفعي أدل على الطبع وقوة القريحة من شعر التكسّب.

ثالثًا: السبق إلى المعاني والقدرة على ابتكار الأساليب الجديدة من أبرز دلائل أفضلية الشاعر على غيره من الشعراء.

إذن فقد رأينا تطورًا مهمًا حدث في المعايير النقدية أنتجته لنا هذه الموازنة بين الشعراء، وما إن نصل إلى عصر الدولة الأموية حتى نرى شيوع الموازنات بين الشعراء، أو بين القصائد، أو حتى بين أبيات بعينها، وغالبًا ما تكون هذه الموازنات بين الشعراء الذين ينتمون إلى مذهب شعري واحد، كإشارتهم إلى تفوق الأخطل في المديح، وجرير في الغزل أو الهجاء، والفرزدق في الفخر، كما يقول الأخطل: جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت صخر، في إشارة إلى سهولة شعر جرير وتدفقه وفخامة شعر الفرزدق مع تأبّيه عليه[٣].

---

(١) ينظر: الأغاني: ١٦/٢٦٠.

(٢) الأغاني: ١٦/٢٦٠. وينظر: اتجاهات النقد العربي القديم: ١٤٨.

(٣) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ٢/٤٥١، ٤٧٤. والمفاضلة بين الشعراء في ضوء مقاييس النقد العربي القديم: ١١٨-١٢٠.

المطلب الثالث: الموازنة في العصر العباسي حتى الآمدي:

كانت البيئة إبّان الدولة العباسية وأخصّ أوله بيئة علم، فقد ظهرت الترجمة، وتعددت الثقافات، وتطورت الثقافة العربية وانفتحت على الثقافات الأخرى، كالفارسيّة واليونانيّة، التي كانت تُعنى عناية فائقة بالفلسفة والمنطق، واختلط العرب بغيرهم، وأصبحوا يتنافسون في العلوم إنشاء وترجمة، وأثّر هذا التطور على الأدب العربي، وأصبح الأدب يتحدّث بلسانين؛ لسان عربي الأصل؛ يحاول التمسك بتقاليد العرب وثقافتهم، وفي أحيان أخرى يلبس عباءة التجديد، ولسان غير عربي؛ لكنّه أتقن العربية وبرع فيها؛ وأفرز هذا التطور والاختلاط أساليب جديدة لم تكن العرب تستخدمها من قبل، وهو ما يُعرف بالأسلوب المولّد[1]، وكان أصحابه يُعنَون بالصنعة اللفظيّة ويجددون في الصورة البيانيّة، وأصبح الشعراء على مذاهب متعددة: منهم من يسير على خطى العرب الأوائل، ومنهم من يعتنى بالصنعة والتجديد، ومنهم من جمع بين هذا وذاك؛ فأنتجت هذه المذاهب حراكًا نقديًا بلغ ذروته في هذا العصر، فظهر أدباء ونقّاد ولغويون ينتصرون لكل مذهب.

وأفرز الاختلاط شيوع اللّحن، فانبرى علماء اللغة لهذه الورطة، ينظرون في أدب العرب القديم وأساليبه، يستشهدون به، ويقعّدونه، وينقدون ما خالفه، كما صوَّبوا الخطأ وشرحوا الغامض.

كما ظهرت مذاهب دينية أثْرَت الحركة العلمية آنذاك، وأبرزها طائفة المتكلمين المعتزلة الذين برعوا في مناظراتهم وفي أساليبهم وكان الإقناع والحوار السمة البارزة في كتاباتهم.

---

(١) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ١٩-٢٢.

وأثرى هذ السّجال الأدبي الساحة النقديّة، حيث كان حال العرب مُستقرًّا سياسيًا واقتصاديًا، فانشغلوا بالعلم رواية وتنظيرًا وتأليفًا.

إلّا أن هذا التأليف مرّ بمراحل عديدة؛ من حيث التخصص ومن حيث الأسلوب.

أمّا من حيث التخصص؛ فقد كان العلماء موسوعيين، وكانت العلوم متداخلة مترابطة، وكان النقد الأدبي القديم متصلًا بالبلاغة اتصالًا شديدًا، حتى كانت المُؤَلَّفات القديمة لا تفصل بينهما، و"كان النقد الأدبي من أهم العوامل في إيجاد البلاغة وذلك أنّ هذه الملاحظات والأحكام النقدية أفادت جماعة العلماء فأحالوها قوانين وأصولًا، ودونوها في فصول مختلطة بالنقد حينًا ومنفصلة أخيرًا...فقد عاشا مختلطين لم ينفصلا إلا بعد جهد عنيف"[(١)] وذلك شأن العلوم اللّغوية قديمًا، وشأن العلماء أيضًا، فقد كانوا يبرعون في مجالات عدة، فتجد البلاغيّ يُؤلِّف في النحو والتفسير، والنحوي يُؤلِّف في البلاغة والنقد، والمفسر بلاغيّ نحويّ وهكذا، فلذلك نجد الصلة بين العلوم اللغويّة وثيقة مترابطة أشد الترابط.

أمّا من حيث الأسلوب؛ فقد برزت ثلاثة مناهج؛ منهج المتكلمين، ومنهج الأدباء، ومنهج أخذ منهما ما تميّزا به، ولكل واحد منهم ما يتميّز به عن صاحبيه.

فأصحاب المنهج الكلامي برعوا في التقسيمات والتعليل وإقامة الحجج والبراهين، بأسلوب الإقناع والحوار والمناقشة، وكان لهم جهود في ضبط العلوم وبيان حدودها، لا سيما في قضية إعجاز القرآن الكريم.

أمّا أصحاب المنهج الأدبي فلم يَقلُّوا شأنًا عن أصحابهم، فالفريقان يسيران نحو طريق العلم؛ فتميّزوا بالإكثار من الشواهد وعللوا وحللوا بأسلوب راقٍ يسحر القارئ.

---

(١) الأسلوب: ١٤.

وأمّا ثالث الثلاثة؛ فقد جمع بين التقسم والتعريف والتعليل والإقناع، وأكثر في الوقت نفسه من الشواهد وتحليلها بأسلوب أدبي رفيع.

فعاش الأدب حياة الترف في هذه الحضارة، بين متعصب لقديم، ومطالب لحديث، ومتوسط بينهما، والذي ربح الثقافة العربيّة، وكلّ هذا الحراك الأدبي أظهَر قضايا في النقد العربي، كقضية اللفظ والمعنى، والسرقات، والطبقات، والموازنة... التي شغلت العلماء والأدباء، فقالوا آراءهم، وكتبوا رسائلهم، وألّفوا كتبهم، فأحسنوا وأجادوا، وأبدعوا وأفادوا.

وعندما نصل إلى عصر التدوين في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري، نرى ومضات سريعة في تصنيف الشعراء وذكر مراتبهم في بعض المؤلَّفات: "كجمهرة أشعار العرب" للقرشي المتوفى سنة "١٧٠هـ"[(١)]، و"فحولة الشعراء" للأصمعي المتوفى سنة "٢١٥هـ" و"سؤالات أبي حاتم" السجستاني المتوفى سنة "٢٥٥هـ" له[(٢)].

وأوّل من اعتمد على شكل من أشكال الموازنة في كتاب مؤلَّف ابن سلام الجمحي المتوفى سنة "٢٣٢هـ" في كتابه: "طبقات فحول الشعراء"، حيث قسم الشعراء إلى عدة طبقات ثم رتب الشعراء داخل الطبقة الواحدة حسب أهميتهم وهو لم يقف عند هذا فحسب؛ إنما نجده يوازن بين شاعر وآخر ويفضّل أحدهما، بل إنه في بعض

---

(١) ينظر: الأعلام: ٦/١١٤. وقيل: من رجال القرن الثالث. ينظر: مقدمة محقق كتاب: جمهرة أشعار العرب: ٨.

(٢) الكتابان الأخيران هما كتاب واحد، وله عدة طبعات باسم: فحولة الشعراء، وأخرى باسم: سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي، وهو كتاب ردَّ فيه الأصمعي على سؤالات أبي حاتم. وذكرتُ الاسمين في المتن؛ لأنّه طبع طبعتين، ولذكر سنة الوفاة. ينظر: فحولة الشعراء: ٧.

الأحيان يفاضل بين الأبيات المفردة أو القصائد، وهذه المفاضلة بين الشعراء إنما معيارها جودة الشعر وصحة النظم، والزمن، والبيئة، والكمّ [١].

وحاول من بعده أن يضبط هذه الموازنة كابن قتيبة المتوفى سنة "٢٧٦هـ" في كتابه "الشعر والشعراء"، الذي صرّح في مقدمة كتابه أنّ من أسباب تأليفه: الإخبار عن الشعراء وأقدارهم، وعمّا يستحسن من أشعارهم وأخبارهم، ومآخذ العلماء عليهم[٢]، ولم يجعل ابن قتيبة الزمن من معايير الحكم على الشعراء كما فعل ابن سلّام، وإنما جعل جودة الشعر هي المعيار، فيقول: "ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره. بل نظرت بعين العدل على الفريقين، وأعطيت كلًا حظّه، ووفرت عليه حقّه"[٣].

وظلّ النقد في هذه المرحلة انطباعيًا لا يتسم بالتعليل والتحليل، ولذلك نجد كثيرًا من الآراء المجملة عند ابن المعتز المتوفى سنة "٢٩٦هـ" في كتابه "طبقات الشعراء" وهو يَعرض للشعراء، فيقول عن بشار: "ومما يستحسن من شعره وإن كان كله حسنًا"[٤]. ويقول في عرضه لقصيدة مسلم بن الوليد: "وهي كما قلنا مشهورة، فتركناها إلا هذه الأبيات فإنها من عيون القصيدة، وإن كانت القصيدة كلها عينا"[٥]، دون أن يذكر أسباب الاستحسان.

---

(١) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ٢٤/١. وينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر: ٦٨-٧٠. وينظر: المفاضلة بين الشعراء في ضوء مقاييس النقد العربي القديم: ١١٢، ١١٦.

(٢) ينظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٥٩/١.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٦٢/١.

(٤) طبقات الشعراء: ٢٨.

(٥) طبقات الشعراء: ٢٣٦.

ثم أتت محاولة ابن طباطبا المتوفى سنة "٣٢٢هـ" في كتابه "عيار الشعر"، الذي حاول أن يضبط مفهوم الشعر وأدواته، وبناء القصيدة ووحدتها الموضوعيّة، ومعرفة أسباب الاستحسان، وأسباب الاستهجان(١)، وكأنّه يمهّد لضبط المصطلحات وتقعيد المفاهيم، وجمع المتناثر من كلام الأقدمين.

ثم يأتينا الصولي بأخبار أبي تمام، وبيان فضله، وجيّد شعره، وأخبار من مدحه، وعن السرقات أبعده، كما ذكر الصولي أخبار بعض الشعراء والعلماء الذين فضّلوا أبا تمام لجمال شعره وحسن لفظه وجودة معانيه على غيره من الشعراء(٢)، كما ذكر أخبارًا وآراءً في تفاضل الشعراء غير أبي تمام؛ كتفضيلهم بشار بن برد على أبي نواس(٣).

ثمّ تأتي محاولة الناقد الفذ قدامة بن جعفر المتوفى سنة "٣٣٧هـ" في كتابه "نقد الشعر" الذي عدّ النقد صنعة وعلمًا، وأنّ الشعر منه الجيّد والرديء(٤)، ووضع أسبابًا للاستحسان متأثرًا بالمنطق والفلسفة، ورغم مصادرته لمحاولات من سبقه(٥)؛ إلا أنّه أجاد في وضع مقاييس لنقد الشعر ليخرج من الأحكام المجردة.

وهذه المحاولات وإن لم تكن الموازنة فيها صريحة، فكانت تأتي على استحياء في بعض المواطن على سبيل الاستشهاد لعرض آرائهما النقدية، والتي أفادت الحركة النقدية، وأفاد منها جلّ من أتى بعدهم.

---

(١) ينظر: عيار الشعر: ٥، ١٩.

(٢) ينظر: أخبار أبي تمام: ٥٩.

(٣) ينظر: أخبار أبي تمام: ١٤٢.

(٤) ينظر: نقد الشعر: ٦٢.

(٥) ينظر: نقد الشعر: ٦١.

المبحث الثاني: الموازنة عند الآمدي:

المطلب الأول: الآمدي وكتابه الموازنة.

يتضح مما سبق أن الموازنات الأدبية جاءت في ثنايا الكتب ولم يعمد أحد من النقاد إلى تصنيف كتاب مستقل فيها، حتى كتب الآمدي موازنته؛ وهو: أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي، الأديب النحوي الشاعر كاتب القضاة، كان إمامًا في الأدب عالمًا بالشعر راويًا له، أصله من آمد (جنوب شرق تركيا)، بصْريّ المولد والنشأة، رحل إلى بغداد طلبًا للعلم، فدرس النحو على يد أئمة اللغة كالزّجّاج والأخفش "الأصغر" والسّراج وابن دريد، ثم عاد إلى البصرة ونهل أهلها من علمه، وانتهت رواية الشعر والأخبار إليه، إلى أن توفي فيها سنة "٣٧١هـ"، أورث الآمدي ديوان شعر وقرابة أربعة عشر مُـؤَلَّفًا في الأدب والنقد والنحو؛ منها: "الموازنة بين أبي تمّام والبحتري" و"المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء"(١).

عاش الآمدي في القرن الرابع الهجري، حيث اتسم عصره بالنبوغ الفكري وتطور العلوم وانتشارها ونشاط التأليف والتدوين، كما أن من جاء قبله من العلماء مهّد له الطريق وأضاءه، ولا يعني هذا أن الآمدي لم يبذل جهدًا في تأليفه للكتاب؛ بل وازن بمنهج منضبط لم يسبق إليه أحد، وهو "أول ناقد متخصص... فكتاب الموازنة وثبة في تاريخ النقد العربي، بما اجتمع له من خصائص لا بما حققه من نتائج"(٢)، وأقول: يكفينا من الآمدي أنه استحدث منهجًا نقديًا في وقت متقدّم جدًا، ضبط من خلاله أسباب تفاضل الشعراء؛ بدراسة جلّ أشعارهم، وأكثر أخبارهم، دراسة متعمّقة؛

---

(١) ينظر: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٢/٨٤٧-٨٥٤. وإنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/٣٢٠. وجلّ مؤلّفاته مفقودة ماعدا المذكورين.

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر: ١٤٢، ١٤٥.

ليحقق هدفه من التأليف، وأقول أيضًا: إن كتاب الموازنة وثبة في تاريخ النقد العربي، بما اجتمع له من خصائص وبما حققه من نتائج.

والذي لمسته في مقدمة كتاب الآمدي وفي مقدمة بعض الكتب المتقدمة؛ أن المؤلِّف يحمل همَّ العلم، فيقولون في مقدمات كتبهم أمورًا يودّون الوصول إليها، ويسعون جاهدين راجين تحقيق ما أرادوا الوصول إليه في كتبهم راجين تحقيق الهدف؛ وقد يُوفق للوصول إلى ما رمى فهذا خير على خير، وقد يحاول الوصول إليه وينتهي من التأليف ولم يصل إلى ما أراد الوصول إليه، فهل يكون المؤلِّف قصّر عن واجبه، أو لم يعط الكتاب حقّه؟ لا يكلِّف الله نفسا إلا وسعها، ويُعذر المؤلِّف، وقد نال شرف المحاولة، ولا يخلو الكتاب من شذرات صريحة أو خبيئة يستأنس بها الدارس، فيأتي مَن بعده ويدرس الفوائد التي وصل إليها، ويكمل مسيرة العلم من بعده بما يفتح الله عليه.

ويعود سبب تأليف كتاب الموازنة إلى الصراع بين القديم والجديد الذي يتمثّل في شعر أبي تمام والبحتري؛ فالآمدي نظر إلى شعريهما وكل ما قيل فيه ثم أسس كتابه على المقارنة بين الشاعرين مع امتناعه عن التصريح بأفضلية أحدهما لديه، كما أن من دوافعه الدفاع عن النقد والناقد، متأثرًا بابن سلام الذي سبقه بالدفاع عن صناعة النقد؛ فالنقد صناعة، وما هو بآراء مطلقة يقول بها من يشاء وكيفما اتفق، كما ذكرها في مواضع متفرقة في كتابه[1].

وقبل الدخول إلى منهج الكتاب وتفاصيل الموازنة أوّد أن أعرف بالطائيين الذي وازن الآمدي بينهما؛ وهما:

---

(١) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٥٧/١، ٤١٠، ٤١٣-٤١٩. يقول ابن سلام: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات...". طبقات فحول الشعراء: ٥/١.

وأبدأ بأبي تمام؛ حبيب بن أوس الطائي، الشاعر الذي ذاع صيته، وأقام الدنيا ولم يقعدها، من أبرز الشعراء المجددين المجيدين، ولد في الشام، قيل سنة "١٩٠هـ"، ونشأ في مصر، وجاب البلاد، وزار الكثير من البلدان إلى أن استقرّ في الموصل وتوفي فيها سنة "٢٣١هـ"، له من المؤلَّفات: "ديوان الحماسة"، و"فحول الشعراء"، و"الاختيارات من شعر الشعراء"(١).

وأثنّي بأبي عبادة؛ الوليد بن عبيد البحتري الطائي، الشاعر الفحل، ولد في الشام، قيل سنة "٢٠٤هـ"، خرج إلى العراق وأقام ببغداد طويلًا، ثم عاد إلى الشام وتوفي فيها سنة "٢٨٤هـ"، له من المؤلَّفات: "ديوان الحماسة"، و"معاني الشعر"(٢).

فالبحتري عاصر أبا تمام قرابة سبع وعشرين سنة، وتقابلا في مواقف متفرقة، ولهما كثير من الأخبار الطريفة، والطريف في الأمر أن جلَّ الأخبار الواردة عنهما تدلّ قوة علاقتهما، فقد كانا كالأخوين، والعلاقة بينهما ودِّية، ولم تظهر بينهما أي عداوة؛ وهذا يدل أن الخلاف والتعصّب لم يكن منهما، أو في وقتهما؛ فقد ظهر الخلاف بين شعريهما في وقت متأخر، نتيجة اختلاف أذواق الناس وتعدد مذاهبهم ومشاربهم.

(١) ينظر: وفيات الأعيان: ١١/٢.

(٢) ينظر: وفيات الأعيان: ٢١/٦.

المطلب الثاني: المنهج الذي اعتمده الآمدي في الموازنة:

ذكر الآمدي في مقدمة كتابه المنهج الذي سار عليه بقوله: "وأنا أبتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين لأختم بمحاسنهما...ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ثم بين معنى ومعنى"(١)، والآمدي بهذه المقدمة يخبرنا عن المنهج الذي اتخذه في موازنته وأهم الموضوعات التي سيناقشها والقضايا التي سيعرض لها، "وهذه بلا ريب نغمات جديدة في تاريخ النقد العربي"(٢).

فبدأ الآمدي كتابه بعرض حجج الفريقين، وبدأ بما سمعه "من احتجاج كل فرقة من أصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الأخرى، عند تخاصمهم في تفضيل أحدهما على الآخر، وما ينعاه بعض على بعض؛ لتتأمل ذلك، وتزداد بصيرة وقوة في حكمك إن شئت أن تحكم، أو اعتقادك فيما لعل أن تعتقده"(٣) فبدأ بذكر حجج الأنصار وأسباب التفضيل والاستحسان، وأعقَبها بذكر مواطن الاستهجان، ثم فتح باب السرقات، وهو في هذا كلّه يبدأ بحجج أصحاب أبي تمام فالبحتري؛ والسبب في ظنّي هو الترتيب الزمني للشاعرين، وهذا يدل على دقّة الناقد، واعتماده على منهج منضبط في كل تقسيماته وترتيبه، كما رتّب هذه الحجج بذكر العيوب ثمّ المحاسن، وربما اختار هذا الترتيب؛ ليكون الحسن آخر ما تقع عليه عينك، وآخر ما تعمل فيه فكرك.

وفي سياق دقة المنهج والتقسيم والترتيب؛ نجد الناقد لا يتوانى عن البحث فيما دُوِّن في دواوين الشاعرين، باحثًا لعذر، ومقويًّا لحكم؛ فيقول: "...وكنت أظن أن أبا

---

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٥٧/١.

(٢) النقد المنهجي عند العرب: ٩٩.

(٣) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٦/١.

تمام على هذا نظم الشعر، وأن غلطًا وقع عليه في نقل البيت، حتى رجعت إلى النسخ العتيقة التي لم تقع في يد "الصولي" وأضرابه، فوجدت البيت في غير نسخة مثبتًا على هذا الخطأ"[١].

وعندما فرغ الآمدي من ذكر مساوئ الشاعرين ومحاسنهما وعن حديثه عن سرقات الشاعرين، بدأ بالجزء الذي سيوازن فيه بين المعاني التي يتفق فيها الشاعران؛ فيقول: "وأنا أذكر بإذن الله الآن في هذا الجزء أنواع المعاني التي يتفق فيها الطائيان؛ وأوازن بين معنى ومعنى، وأقول: أيهما أشعر في ذلك المعنى بعينه. فلا تطالبني أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندي على الإطلاق؛ فإني غير فاعل ذلك؛ لأنك إن قلدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد"[٢]، وهنا يبدأ بالموازنة التفصيلية بين المعاني التي طرقها الشاعران، مع عدم تصريحه أيهما أشعر لديه؛ وهو بهذا يعطي الحكم للقارئ، فلا يريدك أن تسلّم بحكمه وتقلّده؛ وإنما يريدك أن تتذوق الشعر وتُعمل الفكر وتحكم بنفسك (إن شئت أن تحكم) كما يريد أن يربي ملكة النقد لديك؛ وهذه هي الفائدة التي يريدها الآمدي لك.

---

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٢١٦، ٢٢٨.

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٤١٠.

المطلب الثالث: مصطلح الموازنة عند الآمدي

أقام الآمدي موازنته على أمرين:

الأول: ما يتعلق بالشعراء؛ فهو ينظر إلى النتاج الأدبي للشاعرين الذين سيوازن بينهما فيتفحص قصائدهما من حيث الحسن والقبح وما وقعوا فيه من أخطاء وسرقات، ودرس الآمدي نتاج الشاعرين في النصف الأوّل من الجزء الأول في كتابه، والشواهد على هذه الدراسة كثيرة(١).

الثاني: ما يتعلق بالقصائد المفردة: ويتم هذا لديه بأن يأتي بقصيدتين متفقتين في الوزن والقافية وإعراب القافية وأن يكون غرضهما الشعري الذي طرقاه غرضًا واحدًا(٢)، ومنه قول الآمدي: "وأفتتحُ هذا الباب بما جاء عنهما من الابتداءات في هذه المعاني، وأبوبها أبوابًا؛ لتصح الموازنة بينهما"(٣).

ولا شك أنّ النوع الأول أصعب؛ لأن من المستحيل أن تتم موازنة بين شاعرين إلا بدراسة جلّ ما نظموا من أشعار، وهذا النوع يحتاج إلى ناقد كبير كالآمدي، "فيجب أن يصل من يتصدر للموازنة بين الشعراء إلى درجة عليا في فهم الأدب... حين يوازنون بين الشعراء والكتّاب والخطباء"(٤).

---

(١) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/ ٥٨-٤٢٩.

(٢) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/ ٤٢٩.

(٣) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٢/ ٥٩.

(٤) الموازنة بين الشعراء: ٤٥.

المطلب الرابع: القضايا التي بنى عليها الموازنة:

تناول الآمدي عددًا من القضايا النقدية المهمة التي بها تشكلت الموازنة لديه وكانت هذه القضايا تشكّل جدلًا وهاجسًا بين النقاد في وقتها، وأهمها:

أولًا: الخصومة بين القدماء والمحدثين:

تركّزت الخصومة بين القدماء والمحدثين حول مذهب البديع الذي بلغ ذروته عند أبي تمام فقد اتفقوا على أن أبا تمام يمثّل مذهبًا شعريًا جديدًا في الشعر العربي، وهذه الخصومة بين الفريقين لم تكن بهذه السطحية؛ فالقضية لا تعتمد على الذوق والفن فحسب؛ بل لها أبعاد دينية لغوية، فقد كان اللغويون يأسسون علم اللغة، ويقعّدون قواعد النحو خدمة للغة القرآن الكريم الذي وعد الله ﷻ بحفظه، ولا يكون حفظه إلّا بحفظ لغته، ولهذا نجد اللغويين يستشهدون بالقديم ويفضلونه على المحدث، وإن كان الثاني مقبولًا لديهم فنيّا[(١)]، كما يقول ابن الأعرابي عندما أنشده رجل شعرًا لأبي نواس، فسكت. فقال له الرجل: "أما هذا من أحسن الشعر؟ قال: فقال: بلى، ولكن القديم أحبُّ إليَّ"[(٢)]، فابن الأعرابي يفضل الشعر القديم مع اعترافه بجودة شعر المحدثين.

ثانياً: اللفظ والمعنى:

يقول الآمدي: "فإن كنت أدام الله سلامتك ممن يفضلون سهل الكلام وقربه ويؤثر

---

(١) وللجاحظ تفصيل جميل في هذه القضيّة؛ فيقول: "ولم أرَ غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب. ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج. ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل...". البيان والتبيين: ٤/ ٢٤. ولابن رشيق سطور بديعة في قضية القديم والمحدث؛ فيقول: "كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله...". العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/ ٩٠.

(٢) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: ٢٨٦.

صحة السبك وحسن العبارة فالبحتري أشعر عندك ضرورة وإن كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة فأبو تمام عندك أشعر لا محالة"[1] فهو يشير هنا إلى اللفظ والمعنى وتوجه الشاعرين فيهما، وإن كان هذا الرأي الذي أصدره الآمدي في مقدمة كتابه رأيًا عامًّا أقامه على ما استقرأه من كلام السابقين، إلا أن الآمدي قال به في مواضع أخر؛ فيقول: "وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف ورداءة اللفظ يَذهَب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعمِّيه حتى يحوج مستمعه إلى طول تأمل، وهذا مذهب أبي تمام في عُظم شعره. وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسنًا ورونقًا حتى كأنه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تعهد، وذلك مذهب البحتري"[2]، فرأيه هذا تقرير لآراء السابقين، وهو بهذا يؤيدهم ويسير معهم، وهذا الرأي فيه شيء من التعصّب ضد الشعر المحدث الذي يمثله أبو تمام، إلا أننا يمكن أن نقول إنّ الآمدي كان يفضّل شعر القدماء على شعر المحدثين، وهذا رأيه الشخصي الذي قال في موضع آخر أنّه لن يصرح به، وإن كان يقصد أن رأيه هذا في قضية الألفاظ والمعاني، فيُعتب عليه هذا التعصب الذي يعطي القارئ انطباعًا سلبيًا يتجلى في تفضيله للبحتري الذي سار على نهج القدماء وما فارق عمود الشعر على أبي تمام، ولأشعار السابقين ومن نهج نهجهم على شعر اللاحقين والمعاصرين الذين جدّدوا وأبدعوا.

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٥.

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٤٢٥.

ثالثاً: السرقات الأدبية:

تحدّث الآمدي عن السرقات وأفرد لها بابًا، وأفاد من سابقيه الذين ألّفوا في السرقات بشكل عام، والذين ألّفوا في سرقات البحتري بشكل خاص(١)، وتوصل إلى نتائج، أهمها:

أ – أنها ليست من كبير عيوب الشعراء(٢).

ب – السرقة إنما تكون في البديع المخترع، ولا تكون في المعاني المتداولة والمشتركة بين الناس(٣)، ويدخل في المعاني المشتركة، توافق المعاني واختلاف الغرض؛ فلا يعده من الأخذ أيضًا(٤).

ج– السرقة لا تقع في الألفاظ وإنما تقع في المعاني الجديدة؛ إذ الألفاظ مباحة فاللفظ يؤخذ ولا يعد أخذه سرقة(٥).

(١) منها: "سرقات الشعراء" لابن المعتز. و"سرقات الشعراء" و"سرقات البحتري من أبي تمام" لابن أبي طاهر. و"سرقات البحتري من أبي تمام" لأبي الضياء بشر بن يحيى الكاتب.

(٢) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/١٣٨، ٣١١.

(٣) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٣٤٦.

(٤) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٣٥١.

(٥) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٥.

المطلب الخامس: نقد الآمدي في كتاب الموازنة:

ألّف الآمدي كتابه، وجعل الموازنة منهجه، وامتنع عن التصريح بأيهما أشعر، واستعان بالله "على مجاهدة النفس، ومخالفة الهوى، وترك التحامل"(١)، فهل طبق الآمدي ما قال، وامتنع عن التصريح والتفضيل ولو كان ضمنًا؟

اختلف النقاد حول تعصّب الآمدي في موازنته على فريقين؛ فقال بعضهم: إن الآمدي يميل إلى البحتري، وأخذته العصبيّة على أبي تمام، ومنهم: ياقوت الحموي عندما عرّف بصاحبنا وذكر مؤلفاته، فقال: "منها "كتاب الموازنة بين البحتري وأبي تمام"... والناس بعد فيه على فريقين: فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحتري وغلبة حبّهم لشعره، وطائفة أسرفت في التقبيح لتعصّبه، فإنه جدّ واجتهد في طمس محاسن أبي تمام وتزيين مرذول البحتري. ولعمري إن الأمر كذلك"(٢)، فهذا رأي ياقوت ورأي أهل زمانه.

ويقول الدكتور أحمد أمين: "...فألّف الآمدي كتابه "الموازنة بين أبي تمام والبحتري" يتعصّب فيه للبحتري من وراء حجاب"(٣)، وهذا الرأي يتفق مع الرأي السابق؛ لكنّه أقلّ حدة؛ بمعنى: أن الآمدي لا يعلن تعصّبه ولا يصرّح برأيه، بل كان ذلك في حديثه ضمنًا.

والفريق الآخر يرى الآمدي لم يتعصّب للبحتري؛ بل كان ناقدًا عادلًا؛ وإن كان يذكر رأيه في بعض المواضع الجزئيّة التي تتطلب إبداء رأي فيها وليس رأيًا مطلقًا أو تعصّبًا من وراء حجاب(٤)، والتعصّب "حالة نفسيّة لا وجود لها في كتاب الآمدي لا

---

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٤٢٩/١.

(٢) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٨٥٢/٢.

(٣) أخبار أبي تمام: مقدمة الكتاب: أأأهـ.

(٤) ينظر: النقد المنهجي عند العرب: ٩٣-٩٤، ١٠١.

صراحة ولا من وراء حجاب... وأما أن يفضل -تمشيا مع ذوقه الخاص- الشعر الطبيعي السهل على الشعر المتكلف المقتسر فهذا ليس تعصبًا، وهو من حق كل ناقد"[١].

وقبل مناقشة هذه القضية والأقوال أود التوقف قليلًا على عبارة الدكتور أحمد؛ فهي قد توهم القارئ بأن الآمدي لم يؤلف كتابه إلا لهذا الغرض، وهذا في نظري غير حاصل في كتاب الموازنة؛ فلو سلّمنا بتعصب الآمدي للبحتري فلا يُقصر الكتاب عليه، فالآمدي ذكر في كتابه أخبارًا وآراءً وتحدث عن قضايا نقديّة وبلاغيّة ووضع منهجًا أفاد به النقد والنقاد والتراث الأدبي.

وأعود إلى قضيتنا؛ فأقول: الجواب على قضيّة تعصّب الآمدي فيه شيء من التفصيل؛ فالآمدي صرّح بعدم التفضيل جملة، وترك الحكم لذوق القارئ؛ فالذي يستحسن الشعر القديم وطريقة القدماء؛ يميل للبحتري لعدم مفارقته عمود الشعر الذي سار عليه الأوائل، والذي يستحسن الصنعة البديعة، والمعاني المولَّدة، والاستعارات البعيدة؛ يميل لأبي تمام.

فالآمدي يؤكد على مسألة اختلاف الذوق، وتعدد الآراء؛ "لأن الناس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر؟ في: امرئ القيس، والنابغة، وزهير، والأعشى..."[٢]؛ وهذا رأيٌ حسن لو طبّقه في كلّ آرائه النقديّة للشاعرين؛ لأن الميل لمذهب لا يعني الهجوم على المذهبِ الآخر، ولا يبرر الطعن فيه وفي أصحابِه، خارج حدود الذوق الأدبي والنقدي. وقلتُ: "في كلّ آرائه"؛ لأنه أثنى على البحتري وأبي تمام في المواطن التي أجادا فيها، كما عاب عليهما المواطن التي لم يُوفقا فيها؛ كما فاضل بينهما وعزا الحقّ لصاحبه؛ فمن ثنائه على البحتري عندما أورد قوله:

---

(١) النقد المنهجي عند العرب: ١٠١-١٠٢.

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٥.

ويَـأمُرنِي بالصَّـبْرِ مَـنْ لَـيْسَ وَجْـدُهُ كَوَجْـدِي، ولا إعْـلَانُ حَـالِي كَحَالِـهِ

فَـإنْ أَفْقِـدِ العَـيْشَ الّـذي فَـاتَ بِـاللِّوَى فَقِـدْمًا فَقَـدْتُ الظِّـل عِنْـدَ انْتِقَالِـهِ

فقال: "وهذا (لعمر الله) لفظ ومعنى في غاية الحسن والبراعة"(١).

ومن ثنائه على أبي تمام عندما أورد قوله:

دِمَـنٌ أَلَـمَّ بِـهَا فَقَـالَ: سَـلَامُ كَـمْ حَـلَّ عُقْـدَةَ صَـبْرِهِ الإِلْـمَامُ

فقال: "هذا المصراع الأول في غاية الجودة والبراعة والحسن والصحة والحلاوة، وعجز البيت أيضًا جيد بالغ"(٢).

ومن ذمّه للبحتري عندما أورد قوله:

مِيلُـوا إلـى الـدَّارِ مِـنْ لَيْلَـى نُحَـيِّيها نَعَـمْ، وَنَسْـأَلُهَا عَـنْ بَعْـضِ أَهْلِيهَـا

فقال: "وهذا بيت رديء؛ لقوله: "نَعَم" وليس بالمعنى إليها حاجة، فجاء بها حشوًا، ومن الحشو ما لا يقبح، و"نَعَم" ههنا قبيحة"(٣).

ومن ذمّه لأبي تمام عندما أورد قوله:

وَكَـمْ أَبْـرَزَتْ مِـنْكُمْ عَلَـى قُـبْحِ خَـدِّهَا صُـرُوفُ النَّـوَى مِـنْ مُرْهَـفٍ حَسَـنِ القَـدِّ

فقال: "وما أظن أحدًا انتهى في الجهل، والعِيّ، واللُّكنة، وضيق الحيلة في الاستعارة إلى أن جعل لصروف النوى قَدًّا، وأفئدة مصدوعة؛ غير أبي تمام"(٤).

كما وازن بينهما، وفضّل أبياتًا وقطعًا للبحتري على أبي تمام، وفضّل أبياتًا وقطعًا لأبي تمام على البحتري، وذلك بالنظر في الإصابة في المعنى والإجادة في المبنى،

---

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٤٩/٢.

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٤٤١/١.

(٣) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٤٤١/١.

(٤) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٥٢/٢.

ففي موازنته في معنى: "ذكر تعفية الدهور والأزمان للديار" فضّل البحتري على صاحبه؛ فقال: "وهذا البيت أبرع من بيتي أبي تمام لفظًا، وأجود سبكًا، وأكثر ماء ورونقًا، وهو من الابتداءات النادرة العجيبة، المشبهة لكلام الأوائل؛ فهو فيه أشعر من أبي تمام"(١).

وفي موازنته في معنى: "ذكر المُلْك والدولة" فضّل أبا تمام على صاحبه؛ فقال: "...فأبو تمام في هذا الباب (على إساءته في الأبيات المتقدمة) أشعر من البحتري"(٢).

كما جعلهما متكافئين في العديد من المعاني؛ كقوله في معنى "سؤال الديار واستعجامها عن الجواب": "فأجعلهما في هذا الباب متكافئين"(٣).

وعلى مثل هذا مضى في الثناء والذم والموازنة، وإن كنت ألحظ عليه (رغم تحفُّظي على كثير من آرائه) إسرافَه في ذم أبي تمام والمبالغةَ في التقبيح، ولا يقول مثل هذه المبالغات عند نقده للبحتري.

ولو كان للآمدي عذر في مبالغاته وذمّه لأبي تمام بأي شكل من الأشكال؛ فلا يمكن أن يُعذر في نقده وتعليقه على بيت أبي تمام الذي يقول فيه:

وَاسْتَمِيحَا الجُفُونَ دِرَّةَ دَمْعٍ فِي دُمُوعِ الفُرَاقِ غَيْرِ لَصِيْقِ

إنّ مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ لَمَلْعُو نٌ وَمَنْ عَقَّ مَنْزِلًا بِالعَقِيْقِ

"... وقوله: (إن من عق والديه لملعون) البيت من أحمق المعاني وأسخفها وأقبحها، وقد زاد في الحمق بهذا المعنى على معنى البيت الذي قبله، وطَمَّ عليه وعلى كل

---

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٤٤١/١.

(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٣٤٢/٢.

(٣) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٤٥٩/١.

جهالاته في معانيه؛ لأنه لم يقنع بأن يبعث صاحبيه على الوقوف معه والوقوف على المنزل، والبكاء حتى جعل كل من يقف ويعرج كائنًا من كان من الناس: من خاص وعام، وباد وحاضر، ومجتاز وغير مجتاز، ومفارق لأحبابه وغير مفارق، -ملعونًا إذا لم يقف على المنزل بالعقيق، لأن ظاهر المعنى العموم، وما المستحق والله للعن غيره، إذ رضي لنفسه بمثل هذا السخف"[١].

هنا خرج الآمدي من دائرة النقد الأدبي، وعن حدود الذوق، وأصبح يخاطب عدوًّا، أو يقذف شيطانًا، وفي ظنّي أن حبرَه وافق هواه، وقلمَه خان قلبه ووافق هواه، ولو قال: إن أبا تمام أساء وأخطأ بذكره للعن في هذا المعنى وهذا السياق، فأقول: إنّ السيئة لا تُجازى بسيئة مثلها (أو أكبر منها)، وباب النقدِ مفتوح، وصدرِه رحب بما يناسب الذوق ويوافق الأخلاق الإسلامية قبل الاجتماعية والنقدية، ولا يمكن أن أعذر الآمدي في قوله هذا، ولا يمكن أن أجد عذرًا يخرجه من ورطته؛ فقد خرج من باب الاعتذار إلى باب اللّوم والعتب.

ففي هذا النقد اللاذع الذي قدّمه الآمدي ضدّ أبي تمام؛ اتضح تعصبه كالشمس في كبد السماء؛ وإن كان لهذا التعصّب ملامح أخرى تجلّت في كثرة تفضيل البحتري عليه، وإن أثنى عليه فيقول: "... وأبو تمام في أبياته (مع ما فيها من السرق) أشعر من البحتري في أبياته"[٢]، أو يقول: "...فأبو تمام في هذا الباب (على إساءته في الأبيات المتقدمة) أشعر من البحتري"[٣]، أو يقول: "...إلا أني أجعلهما في هذا الباب متكافئين، لكثرة إحسان أبي تمام فيه"[٤]؛ إذا كانت الكثرة والغلَبة لأبي تمام؛ فلِمَ

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٥٤٦/١.
(٢) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٥٠/٢.
(٣) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٣٤٢/٢.
(٤) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ٥٢٥/١.

جعلهما متكافئين؟

حاول الآمدي أن يظهر بمظهر العادل كما صرّح، وحاول ألّا يميل في هواه، وألّا يتحيّز لأحد الفريقين، لكنّ ما في قلبه أخرجه قلمه؛ إن صراحة وإن من وراء حجاب. لكننا لا ننكر الفضل العظيم الذي قام به، وهذا الإرث الفريد الذي أوقفه للمكتبة النقدية.

المطلب السادس: قيمة كتاب الموازنة في النقد الأدبي:

قدّم الآمدي خدمة كبيرة للتراث الأدبي من خلال مؤلَّفاته؛ وأخصّ منها كتاب "الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري"، الذي استحدث فيه منهجًا نقديًا منضبطًا، وصوّر من خلاله الحياة الأدبية، وأبرز آراء النقاد والشعراء والعلماء، وذكر كتبًا مفقودة ونقدها وعلّق عليها، مثل: كتاب "سرقات الشعراء" لابن المعتز(١)، وكتابي "سرقات البحتري من أبي تمام" و"السرقات الكبير" لأبي الضياء(٢)، وغيرها. وتتجلى قيمة هذا الكتاب في أربعة أمور رئيسة؛ وهي:

أولًا: تعود قيمة هذا الكتاب إلى أنّه من أهم كتب النقد التطبيقي التي اتخذت الموازنة بين شاعرين منهجًا لها.

ثانيًا: عَرَضَ هذا الكتاب إلى عديد من القضايا النقدية الكبرى وتحدث عنها وذكر آراءً مهمة فيها، وهو من أول النقاد الذين عرضوا قضية عمود الشعر(٣).

ثالثًا: صوّر لنا الآمدي في كتابه الحياة الأدبية والشعرية وآراء النقاد وأذواقهم في النصف الأول من القرن الرابع الهجري وقبله.

رابعًا: اعتمد الآمدي في هذا الكتاب على النقد التطبيقي المعلل.

---

(١) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٢٨٠.

(٢) ينظر: الموازنة بين أبي تمام والبحتري: ١/٥٥. والفهرست: ١٨٣.

(٣) أشار إليها الدكتور: عبدالله العريني في محاضراته في مقرر النقد القديم في دراستي لمرحلة الماجستير. وينظر: قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم: ١٧٥.

المطلب السابع: المقايسة عند الجرجاني.

المقايسة لغة: "قاس الشيء يقيسه قيسًا وقياسًا... والمقايسة... معالجة الأمر الشديد"(١).

فالمقايسة تقوم على قياس الشيء، وإن لم يكن له نظير.

المقايسة اصطلاحاً: "النظر إلى شعر شاعر من خلال شاعر آخر، أو شعر آخرين"(٢)، إلّا أنني اختلف مع الدكتور أحمد مطلوب على الجزء الأول من تعريفه للمقايسة في قوله: "من خلال شاعر آخر" فلا يشترط أن يوجد شاعر آخر في المقايسة، فمن الممكن أن نكتفي بقياس حسنات الشاعر بأخطائه يقول القاضي: "فإن الأديب الفاضل لا يستحسن أن يعقد بالعثرة على الذنب اليسير من لا يحمد منه الإحسان الكثير، وليس من النصفة أن تنعى على أبي الطيب بيتًا شذّ، وكلمة ندرت...وتنسى محاسنه، وقد ملأت الاسماع...، وأن تحطه الزلة العابرة ولا تنفعه المناقب الباهرة"(٣)، فالقاضي يصرّح بقياس حسنات أبي الطيب بسيئاته دون أن يقرنه بشاعر آخر، وعلى هذا تكون المقايسة: قياس شعر شاعر بشعره أو بشعر غيره؛ لغرض الإنصاف، فيخرج هنا وجود الند والنظير، وإن وجد.

---

(١) لسان العرب: ١٨٧/٦، مادة: (ق ي س).

(٢) معجم النقد العربي القديم: ٣٤٠/٢.

(٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٠. والنص طويل وفيه قارن القاضي هفوات المتنبي وعثراته بحسناته وفضائله.

المطلب الثامن: منهج المقايسة وظهوره عند الجرجاني:

انبثق هذا المنهج من خلال الموازنة عندما نظر الآمدي إلى حسنات شاعريه وأغلاطهما، فجاء القاضي الجرجاني وألف كتابًا حول المتنبي وخصومه، كان الغرض من ورائه إنصاف المتنبي والدفاع عنه بعد توسطه بين الفريقين المتصارعين في محبته ومعاداته فأعطى لكل فريقٍ حقه وكشف تسرّعه وأخطاءه وكشف عورات الحاقدين عليه[١]، ويظهر لنا في دفاعه عنه ألوان ثلاثة[٢]، هي:

أولًا: قياس الحسنات بالسيئات.

ثانيًا: أن الأخطاء التي وقع بها المتنبي قد وقع بها كثير من كبار الشعراء.

ثالثًا: التماس الأعذار له.

(١) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر:٣٠٥، ٣٠٧.

(٢) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤٢٨.

المطلب التاسع: مقارنة بين الموازنة والمقايسة(١):

برز كتابا الموازنة والوساطة في خضمّ الخصومة بين القدماء والمحدثين؛ وكان الدافع الأكبر من تأليفهما: إقامة العدل في الحكم، وإنصاف الشاعر بحجج ظاهرة معللة وبمنهج واضح، لا سيما أن كتاب الموازنة ألّفه عالم بالأدب وكاتب للقضاة، وكتاب الوساطة ألفّه قاض يحكم بين الناس وينصفهم، وإذا أمعنا النظر في الموازنة عند الآمدي؛ فإنها تنهج قياس شاعر بشاعر، بدراسة أشعارهما إذا اتفقا في الوزن والقافية وإعراب القافية والغرض الشعري، أما المقايسة فتتميز بأنها تقيس أخطاء الشاعر بحسناته، فتنظر أيهما يغلب، ثم تقيس شعر الشاعر بشعر الآخرين، وقد بسّطته في جدول يسير على النحو التالي:

الآمدي	الجرجاني
الموازنة	المقايسة
الموازنة بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية وبين معنى ومعنى.	يقيس أخطاء الشاعر مقابل حسناته. ثم يقيس أخطاءه بأخطاء غيره، وحسناته بحسنات غيره.
تكون بين شاعرين.	تكون في شاعر واحد أو أكثر.
المنهج أفضل.	النتائج أفضل.

(١) هذه المقارنة تحدّث عنها الدكتور: عبدالله العريني أثناء دراستي في مرحلة الماجستير، عام: ١٤٣٢هـ. كما تحدّث عنها الدكتور إحسان عباس. ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر: ٣٠٩ وما بعدها.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة الموسومة بتاريخ الموازنات الأدبية، التي بدأتها بمعنى الموازنة ونشأتها وتطورها، وبداية التأليف فيها، ثم رصدت مصطلح الموازنة عند الآمدي وبينت منهجه والقضايا التي عليها قامت الموازنة وقيمة هذا الكتاب في النقد الأدبي، ثم رصدت تطورًا وشكلًا من أشكال الموازنة، ظهر عند القاضي الجرجاني وهي المقايسة فعرّفتُ بها، وأوضحت فرقها عن الموازنة، ثم ختمتُ بالموازنة وأهميتها في النقد الأدبي الحديث، وتوصّلت في هذا العرض إلى عدد من النتائج، وهي:

١- الموازنة الأدبية منهج نقدي قديم جدًا، استعمله الكثير من الأدباء والنّقاد للمقارنة بين الشعراء والحكم عليهم.

٢- الآمدي أول من ألف كتابًا مستقلًا في الموازنات الأدبية.

٣- تقوم الموازنات الأدبية على النقد التطبيقي ولا بد أن يكون هو الغالب فيها.

٤- الموازنة قضية كبرى، تضم معها جلّ القضايا النقدية.

٥- لا تتم الموازنة إلا بين شاعرين متقاربين في الجودة وغزارة الإنتاج.

٦- على من يتصدر للموازنة أن يكون على درجة عالية في فهم الأدب، وأن يتخلص من أهواء النفس البشرية التي قد تحكم الإنسان فيجانب الصواب.

٧- اتجه النقد من خلال الموازنات الأدبية نحو التجريد وتجاوز الأحكام الانطباعية.

٨- من خلال الموازنة، أصبح التركيز في المنهج النقدي على النص لا على صاحب النص.

وأختم قولي بهذه التساؤلات: هل يمكن الموازنة بين شاعرين في عصرين مختلفين أو في عصر واحد والبيئة مختلفة؟ وهل يمكن أن تكون الموازنة في النثر كما رأيناها في الشعر؟

هذه وصايا أوصي من بعدي أن يجيب عليها، والله أعلم وأحكم.

المصادر والمراجع

١- اتجاهات النقد العربي القديم، د. عبدالله خضر حمد، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٤٣٨هـ.

٢- أخبار أبي تمام، أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، حققه وعلّق عليه: خليل محمود عساكر، محمد عبده غرام، نظير الإسلام الهندي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٣- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب =معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤- الأسلوب، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، مصر، الطبعة الثانية عشرة، ٢٠٠٣م.

٥- الأعلام، خير الدين بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

٦- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: إحسان عباس وإبراهيم السّعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٧- إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٢م.

٨- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٩٢م.

٩- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ-١٩٨٨م.

١٠- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري،

طه أحمد إبراهيم، الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١١- تاريخ النقد الأدبي عند العرب نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، د. إحسان عباس، دار الشرق، عمّان، الأردن، ١٩٩٣م.

١٢- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بين أبي الخطاب القرشي، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.

١٣- الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

١٥- طبقات الشعراء، عبد الله بن المعتز، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

١٦- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلّام الجمحي، قرأه وشرحه: محمود شاكر، دار المدني، جدة.

١٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، حققه وفصّله وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٨- عيار الشعر، محمد بن أحمد محمد طباطبا، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٩- فحولة الشعراء وهو سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي، عبدالملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية ببور سعيد، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

٢٠- الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق، اعتنى بها وعلّق عليها: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢١- قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم، د. وليد قصّاب، دار الفكر، دمشق، ٢٠١٠م.

٢٢- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٢٣- معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.

٢٤- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق المجلد الأول والثاني: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة. تحقيق المجلد الثالث: عبدالله بن حمد محارب، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٥- الموازنة بين الشعراء، د. زكي مبارك، كلمات العربية للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م.

٢٦- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، محمد بن عمران المرزباني، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٧- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٨- النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، محمد مندور، مترجم عن الأستاذين: لانسون ومايه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢٩- المفاضلة بين الشعراء في ضوء مقاييس النقد العربي القديم، د. عبدالرحمن حميد ثامر، مجلة جامعة الأنبار للغات، عدد: ٢، ٢٠١٠م.